محمود شلبي

في ظلال وعيون

دار المعرفة

في ظلال وعيون

في ظلال وعيون

بوهان

محمود شلبي

بوهان

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى

بيروت ـ لبنان

١٩٧٥ م ـ ١٣٩٥ هـ

إهداء

اللهُمَّ... مِنْكَ... وَإِلَيْكَ

محمود شلبي

إِنَّا... نَحْنُ... نَزَّلْنَا... الذِّكْرَ...

فيه ... صفة ... ليس كمثلها صفة ... في كتاب !!!

في القرآن المجيد ... صفة ... لا مثيل لها ...

وهذه الصفة ...

أن كل الوجود ... كل شيء ... معلوم ... مشهود ... له سبحانه ...

يستوي في ذلك ... شيء كان ... أو شيء سيكون ...

وهذا هو السر ... أن كتاب الله ...

يحدثك عن ... الله ... وشئونه ...

ثم ينقلك فجأة الى ... الخلْق ... وأحوالهم ...

أو يحدثك عن الدنيا ...

ثم ينقلك ... مباشرة ... الى الآخرة ...

فلا زمان ... ولا مكان ... عند الله ...

وانما ... الكل ... له سبحانه ... مشهود ...

فهو يكلمك ... عن كل شيء ... بلا ترتيب زمني ... أو ترتيب مكاني ...

لأن الأشياء كلها ... من الأزل ... الى الأبد ... معلومة مشهودة ... حاضرة ... عنده سبحانه ...

وهذه الصفة ... لا توجد إلا ... في كلام الله ...

ومن نفس الوجه ...

تجد القرآن ... يتحدث عن الإطلاق ...

وفجأة ... ينزل بك ... من سماء السماء ...

الى أرض الأرض ... من أعلى دائرة ... الى أضيق دائرة .

من اطلاق الاطلاق ... الى تعيُّن التعيُّن ...

لأن الألوهية ... لا يفيدها شيء ... ولا يسعها شيء ...

ومن هنا ... كان التعبير ... « **إنّا نَحْنُ ... نَزَّلْنَا** » ..

وقولـــه :

« **تَنزِيلُ الْكِتَابِ** » ... !!!

تنزيل ؟!! إنَّ الله ... الذي لا يسعه شيء ...

وهو ... يسع كل شيء ... يتفضَّل ... ويتنزَّل ...

إلى أفهامنا ... المحدودة ...

رحمة بنا ... ورفعا لمستوانا ...

مِن أعلى الأعالي ...

مِن العَلِيّ ... الأعلى ... المُتعال ...

الى ... الكائن ... الذي اسمه الانسان ...

إنه ... التنزُّل ...

الى عقولنا ... لعلنا ... نفهم ...

فما أعظم المنّة !!! وما أعظم الرحمة !!!

المعصية ... حادث مرور ... كوني ...

النظرية ... خطيرة جدا جدا ...

وكي نفهمها ... نضرب لها ... من الواقع مثلا ...

أرأيت ... لو أن عربة ... أو سيارة ...

اصطدمت فجأة ... بسيارة أخرى ...

في أحد الشوارع ... الهامة ... التي تعج بمرور السيارات ... والناس ...

فماذا يحدث ؟!!

تتعطل حركة المرور كلها ...

ففي لحظة ... تجد مئات من العربات ... تعطلت كلها ... وتوقفت عن المسير ...

في انتظار رفع هاتين السيارتين ... من الطريق ...

لتستطيع تلك المئات من السيارات التي توقفت بسبب الحادث ...

أن تواصل سيرها ...

وترى أصحاب السيارات ... التي توقفت ...

في أشد الضيق ...

كل منهم ... يلعن هذه السيارة ... التي خالفت قواعد المرور ... فكانت سببا فيما حدث ...

ويلعن صاحبها ... وقائدها ... لعنا كبيرا !!!

ولذلك يتحتم على ادارة المرور ... أن تبادر الى رفع السيارتين المصطدمتين من الطريق ...

لتفتح الطريق أمام السيارات جميعا ... كما كان ...

ويتحتم عليها ... أن تجري تحقيقا في الحادث ...

وأن تعاقب المعتدي ... ليكون عبرة ... لمن يفكر في تعطيل المرور مرة أخرى ...

هذا المثال الواقعي ... لو تأملته عميقا ... وهو يحدث كل يوم أمام عينيك ...

لكشف لك ... عن حقيقة المعصية ... حين تقع ... بالنسبة الى حياة الناس جميعا ...

بل بالنسبة الى الكون كله ... في الحقيقة !!!

فليست المصيبة ... في المعصية ... أنها مجرد مخالفة ... لأمر الله ...

وإن كان هذا وحده ... مصيبة المصائب ...

أن يتجرأ كائن تافه ... على مخالفة ... رب العالمين !!!

وإنما المصيبة كل المصيبة ... أن المصيبة ... حادث مرور ... كوْنيّ !!!

فما معنى هذا ؟!!

معناه عميق ... ودقيق ...

إن الله سبحانه ... حين أبدع هذا الكون كله ...

أبدعه ... على تخطيط واحد ... ينتظمه كله ... من أوله الى آخره ... كوحدة واحدة ...

فكل شيء في الكون ... مترابط مع كل شيء في الكون ... من أصغر كائن ... الى أكبر كائن ...

كلٌّ آخذ ... وكلٌّ مُعطِي ...

ثم جعل للكون كله ... نواميس ... تحكمه ... وتديره ... أوتوماتيكيا ...

فانتظم الكون كله ... على تلك النواميس ... انتظاما تامّـــا ...

ثم جاء دور الانسان ... في الكون ...

فأمر الله بأوامر ... ينتظم عليها ...

لينتظم ... بدوره ... مع التخطيط العام ... للكون ... والحركة العامة للكائنات !!!

فمن أطاع ... وانتظم ... مع التخطيط الالهي العام ... من جنس الانسان ...

كان ذرّة سابحة ... في مسارها الطبيعي ... من بحر الوجود الكلي ...

ومَن عصى ... وخرج على التخطيط ...

كان ذرّة ... مضادة ... تسيرا سيرا ... مضادا ... لحركة المرور ... العامة ... للكائنات جميعا ...

كمثل السيارة ... اذا سارت عكس اتجاه المرور ... فهي تصطدم حتما ... بكل السيارات التي تسير في عكس اتجاهها ...

ولو سارت مع الاتجاه العام للمرور ... لكان سيرهـــا طبيعيا !!!

وهذا هو شأن المعصية ... فهي مخالفة مرور كونية ...

والعكس صحيح ...

فالطاعة تحدث انسجاما تامّا في تخطيط الكون العام ...

ومن هنا كانت المعصية ... شؤما ... لصاحبها ...

وكانت الطاعة يُمنا للطائع ...

وهذا يفسر لك ... لماذا ذكرت الشريعة... «أنَّ مَن قتَلَ نفساً فكأنما قَتَلَ الناس جميعا»... «ومَن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ... »

لأن جريمة القتل ... تحدث اهتزازا عاما ... في البشريه كلها ... ونواميسها ... وحياة مجتمعاتها ...

كما أن عدم وقوع جرائم القتل ... يحدث انسجاما عاما ... في الحياة البشرية كلها ... واطمئنانا وأمنا للجميع ...

فالبشرية كلها ... كنفس واحدة ...

« مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ».. (لقمان ٢٨)

ومن هنا ... كانت النقمة عامة ... والنعمة خاصة ...

فاذا وقعت جريمة في مجتمع ... ولم يقاومها المجتمع ... أخذهم الله جميعا بعقاب ...

لأن ترك الجريمة ... كترك السيارة المصطدمة في الطريق ... فإنها تعطل الموكب كله ...

فلو رفعت من الطريق ... لواصل الجميع سيرهم كما كانوا ...

« وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ »

عودة حياتكم جميعا ... الى نظامها الطبيعي ...

كما تعود حركة المرور كلها ... الى انتظامها ... بعد رفع السيارة المصطدمة من الطريق ...

أما الرحمة ... فإنها تخص ... صاحبها ...

لأنها انتظام طبيعي ... في مسار طبيعي ...

فالطائع يأخذ أجر طاعته ... انه انسجم مع النظام العام ... فأراح نفسه ... واستراح من متاعب المخالفة ...

والكتاب الكريم ... والسُّنّة المطهرة ... مليئان بما يؤكد تلك الحقيقة ...

حقيقة مسئولية المجتمع كله ... عن مقاومة الجريمة ...

ووقوع العقاب بالمجتمع كله ... اذا تراخى في مقاومتها ...

والمجتمع هنا ... مثله كمثل آلة ضخمة ... تخلخل بهما مسمار بسيط ... فلو لم تبادر الى اصلاحه فورا ... توقفت الآلة كلهـــا ...

وكمثل الجسد الواحد ... حين يبادر الجسم كله ... الى مقاومة الجرثومة الطارئة عليه ... والا لأفسدت الجسم كله ...

وقد أشار حديثه ... صلى الله عليه وسلم ... الى هذا المعنى ! !

أما الطاعة ... فهي الانتظام ... مع النظام الطبيعي للبشرية ..
فأول رحماتها ... أنها راحة للطائع ... وراحة لكل المجتمع بالتبعية ...
هذا عن المعصية ... في دائرة المرتبة البشرية ...
فماذا عنها ... في دائرة الكون كله ؟!!
في ظاهر الأحوال ... أن الطاعة والمعصية ... لا يتعدى أثرهما ... دائرة الحياة البشرية ...
وهذا هو المنطق الطبيعي ...
وإلا ... لتعرضت الأكوان الى الاهتزاز ... كلما وقعت معصية من أحد من البشر ...
وهذا يحدث فسادا عريضا ... في النظام الكوني العام ...
وهذا ما أشارت اليه الآية :
« **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ** » ...
(المؤمنون ٧١)
إلا أن هناك دائرة ... من الأكوان ... تتأثر حتما ... بما يقع من الجنس البشري ... من طاعة أو معصية ...
وهذه الدائرة ... هي دائرة الدار الآخرة ...
الجنة ... والنار ...
فكل طاعة ... كَسْب لعوالم الجنّات ...
فالطاعة لها تحقُّق فعلي ... في عوالم الجنات ...
كما أن المعصية لها ... تحقق فعلي في عوالم النار ...

فهناك تأثير ... فعلى لكل طاعة ... وكل معصية في تلك العوالم ... هناك إذاً ارتباط تام ... بين المعصية ... وبين الطاعة ... وتلك العوالم فمن اطاع فقد اقام لنفسه عوالم في الجنات ...

ومن عصى ... فقد أقام لنفسه عوالم ... في النار ...

ولو تحقق الإنسان ... بتلك الحقيقة ...

لرُعب رعبا شديدا ...

ولولّى من المعصية فرارا ...

ولكنه الحجاب الغليظ ... هو الذي يسوّل للإنسان المعصية ...

لأنه لا يعلم آثارها البعيدة ... في تلك العوالم ... من الكون ...

فالمعصية ... إذا ... حادث مرور ... كونيّ ...

وتأمّل في ذلك قوله تعالى :

« وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً » . **(النساء ٩٣)**

الجريمة جريمة قتل واحدة ...

فلماذا يخلد فاعلها في جهنم ؟!!

لماذا يمكث فيها ملايين السنين ... رغم أن الجريمة وقعت في لحظة واحدة ؟!!

لأنه ... من وجهة الدائرة البشرية ... كأنما قَتَلَ الناس جميعا ...

ومن وجهة الدائرة الكونية ... قام بعملية تخريب ... في نظام الكون العام ...

فهو مضاد ... للنظام العام للوجود كله ...

فكان عدلا ... أن يخلد في العقاب ... جزاء المضادة لنظام الوجود كله !!!

ولعل هذا هو سر الخلود في الجنّة ... والخلود في النار ...

يخلد من قال ... لا إله إلا الله ... في الجنة ...

ويخلد ... من أبى ... أن يقول ... لا إله إلا الله ... في النار ... لماذا ؟!!

مع أنها ... كلمة واحدة ؟!!

لماذا يخلد في الجنة ... من آمن ... ألا إله إلا الله ...

سويعات ... وما العمر إلا سويعات ؟!!

ولماذا يخلد في النار ... من كفر ... بلا إله إلا الله ...

سويعات ... وما عمر الكافر مهما طال إلا سويعات ؟!!

لأن المؤمن ... اعترف بالحقيقة ... التي ينتظم عليها الكون كله ... حقيقة ... لا إله إلا الله ...

فهو ذرّة ... منتظمة مع النظام العام للكون كله ...

ولأن الكافر ... انكر تلك الحقيقة ... التي ينتظم عليها الكون كله ...

فهو موجة مضادة ... للنظام الكوني العام ...

فلا بد ... وحتما ... أن يُستخرج من خلال الأكوان كلها ... ويُلقى بعيدا عنها ... ويبقى في سجنه ذاك أبدا ...

حتى لا يعطل الحركة العامة للكون ... ويحدث اضطرابا في مسارات الأكوان الطبيعية ...

وهذا السجن ... الأبدي ... لتلك الموجة المضادة ... هو جهنم ...

« ... وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً » .

(الإسراء ٨)

أي سِجْناً ... يُحصرون فيه جميعا ... بعيدا عن النظام الطبيعي للأكوان !!!

وإنه لمنطق حق ...

فلو جاز لنا أن نترك العربة المصطدمة ... في الطريق ... تعطل حركة المرور كلها ...

لجاز أن نترك الكافر المصطدم ... بحركة الأكوان كلها ... طريق اتجاهها جميعاً الى ربها ... ليعطل المسار العام للكائنات الى ... الله !!!

ألا ... إن جريمة ... الكفر ...

إنما هي ... حادث مرور ... كوني ... فعلا ... وحقا ... وصدقا ...

وكان طبيعيا ... أن يُنَحّى الكافرون جميعا ... بعيدا عن مسار الكائنات ...

« ... إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً » .

(النساء ١٤٠)

وَحـدَهُ...

بغتة ...

بَرِقَ البَصَرُ ...

فأبصرتُ ... بإذن ربي ... أمْراً عَجَباً !!!

أنّه ... سبحانه ... أقام هذا الوجود ... كله ... وحْدَهُ !!!!

وازداد عجبي ...

أنّه ... تعالى ... ما زال يُقيمه ... وَحْدَهُ !!!

فكدت أتلاشى ...

بل تلاشيت ... من فوري ...

وصاح صائح ... مِن عَدَمي : لو فهم الخلْق ... هذه وحدها ... لذابوا جميعا !!!

وَحْدَهُ ؟!!!

كان ... الله ... ولم يكن شيء ... معه ...

ثم شاء ... سبحانه ... أن يكون هذا الكون ...

فأقامه ... وَحْدَهُ !!!

لم يكن شيء معه ...
ولم يتخذ مُعينا ...
ولم يُشرك ... أحدا ... معه ... وهو يقيم ... هذه الأكوان جميعا !!!
فلمّا ... أقامها ...
قامت ...
وما زال ... يُقيمها !!!
أمرٌ ... رهيب ... رهيب ...
عجيب ... عجيب !!!
لا يَقْدِر على هذا ... إلا ... هُو !!!
أكوان ... ما لها من نهاية !!!
متراكبة ... بعضها فوق بعض ...
متراكمة ... بعضها يعلو بعضا ...
متلاحمة ... بعضها يشد بعضا ...
متزاحمة ... بعضها يمسك بعضا ...
متلاصقة ... ولكن في انفصال ...
متجددة ... ولكن في ابداع ...
سارية ... جارية ... ولكن ... لا تتوقف ...
تتجزّأ ... لتكون وِحْدة ...
وتتوحّد ... لتكون أجزاء ...
تترتّب ... في مراتب شتى ...
وتتباعد ... في اتزان ... وميزان ...

أكوان ... تَسْبَح ... وتُسَبِّح ...
وتجري ... فلا تسكن ...
وتسكُن ... لتجري ...
أقوام ... أبدعها ... من نور ...
وأخرى ... من نار ...
وأخرى ... من طين ...
وأخرى ... مما لا يعلمون ...
وما زال يبدع ... كل لحظة جديدا ...
ويُمِدُّ ... كل شيء ... إمدادا ...
ولا نفاد !!!
وما نقص ذلك كله ... من ملكه شيئا ... وما زاد !!!
ومع هذا ... كل شيء ... في ازدياد !!!
ظمىء ... الوجود ... فسقاه ...
وجاع كل شيء ... فأطعمه ...
ولسان الحقيقة ... ينادي أزلا ... وأبدا ...
« إنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ » !!!
أمرٌ عجيب ... رهيب !!!
وَحْدَهُ ؟!!!
كان ... وَحْدَهُ ... حين أقام ... هذا الوجود كله !!!
وما زال ... وَحْدَهُ ... وهو يُقيم ... هذا الوجود كله !!!
وَحْدَهُ ؟!!!

قُدْرة ... وراء فهم الخَلْق أجمعين ...

لا يُعَبِّر ... عن هذا المعنى ... أجمع تعبير ... إلا قولـــه :

« وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » (الزمر ٦٧)

نعم ... نعم ...

ما قَدَر ... الخَلِقْ ... جميعا ... اللهَ ... حَـــقَّ قَدْرِه !!!

ولو فكّروا ... في هذه ... وحدها ...

لَخَرُّوا ... من فورهم ... إلى الأذقان ... يبكون !!!

لو فكّروا ... أنك كنتَ ... وحدك ... لا أحد معك ... يُعينك ... وأنت تُقيم ... هذا الوجود ...

لرعبوا ... رعبا يُزلزل وجودهم كله ...

مِن عجائب قدرتك ... التي أقامت ... ما أقامت ... بلا مُعين ... بلا شريك ... بلا ظهير ... بلا مُشير !!!

لو اجتمع الخلْق جميعا ... وكان بعضهم لبعض ظهيرا ... ليخلقوا ذبابة واحدة ... ما استطاعوا ...

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِن الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ

يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ » .

ثم ناداهم الحق ... بعدها مباشرة ...

« مَا قَدَرُ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » ...

(الحج ٧٣ و ٧٤)

ذبابة واحدة ...

لو اجتمع لها ... كل الخَلْق ... من أعلى مراتبهم ... الى أدنى مراتبهم ...

ما استطاعوا أن يخلقوها ...

لَن يَخْلُقُوا ؟!!!

مستحيل ... مستحيل ...

أنت وحدك ... خالق كل شيء ...

وما الذبابة ... إلا شيء ... لا يستطيع خلقه ... إلا أنت !!!

ما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ !!!

ما قَدَر ... الخلْق جميعا ... الله ... حَقَّ قَدْرِه ...

إنَّ أفهام ... الخَلْق جميعا ... تعجز عن إدراك ... مدى القدرة الإلهية ...

وإنما ... يُقرب الأمر ... مِن مدارك الخلْق ...

أن يتفكّروا ... في هذه وحدها ...

ان يتفكروا ... أن الله ... كان وحده ... حين أقام هذا الوجود كله ...

ما كان معه ... مِن أحد ...

وما اتخذ من مُعين ...

وما أشرك معه أحدا ...

وما أشهد هذا أحدا ...

وَحْدَهُ ؟!!!!!!!!

« مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً » .

(الكهف ٥١)

عَضُداً ؟!!

مُعينا !!!

لم يتخذ مُعينا ... واحدا ... حين أقام ... هذه الأكوان جميعا ...

وَحْدَهُ ؟!!!

ولم يتخذ ... بعد أن أقامها ... أحَدا ...

وإنما يُقيمها ... وما زال يُقيمها ...

وَحْدَهُ ؟!!!

فهو ... القيُّوم ...

وهنا ندرك ... شيئا من جمال ... شعشعانيات ... أمره المقدَّس :

« وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً » !!!

يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ ولم مِّنَ الذُّلِّ ؟!!

لأنه عزيز ...

والعزيز ... لا يتخذ مُعينا ... لأن اتخاذ الأعوان ... دليل ذِلّـــــة ...

وَحْدَهُ ؟!!!

كان ... وحده ... حين أقام ... الأكوان كلها ...

وهو الآن ... وَحْدَهُ ... وهو يُقيم ... الأكـــوان كلهـــا ...

وهو ... دائما ... وأبدا ... وحده ...

فهو ... القيُّوم ...

أزلا ... وأبدا ...

يقيم ... ما شاء ... من الأكوان ... وَحْدَهُ ...

ويحفظ قيامها ... وحده ...

لا شريك له ...

ولعلّك ... الآن ... تفهم ... شيئا ... من أسرار أنوار ... قول الحبيب ... صلى الله عليه وسلم ...

« لا إلَهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ يُحْيِي ويُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

قديرٌ ؟!!!

خَتَم ... التسبيحة ... بالإشارة ... الى القُدْرَة ...

التي ... لا يَقْدُرُها ... أحَد !!!

أشكرُ... لله...

اشارة ... خطيرة ...

مكنونة ... في آية كريمة ...

خلاصتها ...

أنَّ الشكر ... لِلّهِ ... هو ذروة ... المعرفة ...

وهو قمة ... الحكمة ...

وهو ... الأفُق الأعلى ... من كل فلسفة !!!

والآية ... هي ...

« وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ » .

(لقمان ١٢)

والإشارة ... تتلألأ ... بين قوله « الحِكْمَةَ » و « أَنِ اشْكُرْ لِلّهِ » !!!

اي علامة أنّا آتيناه الحكمة ... أنّا وجهناه الى الشُكْر ...

إذاً ... ثمرة الحكمة ... هي الشكر ...

فالحكمة شجرة طيبة ...

وثمارها ... الشكر ...

انظر الى القضية ... نموج أنوارها ... في قوله :

« ... كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ... »

(إبراهيم ٢٤ – ٢٥)

تؤتي أكلها ؟!

تؤتي ثمارها ...

فعلامة أن يكون الرجل حكيما ...

أن يكون شكورا ...

يتلألأ بالشكر ... لِلّه ...

كُلَّ حين ... اي دائما ...

لماذا هذا الارتباط بين الحكمة ... والشكر ؟!!

اذا كانت الحكمة ... هي المعرفة ... معرفة الله ...

فهي اذا ... المقام الأعلى ... مِن العلم بالله ...

« يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً » ...

أي أوتيَ ... رُقِيّاً ... عظيماً !!!

فالحكمة ... تبدأ ... حيث ينتهي ... جُهد العلماء ...

فكل حكيم ... عليم ...

وليس كل عليم ... حكيما !!!

الحكمة ... هي ادراك الكليات ... التي تهيمن على الجزئيات ...

هي الانكشاف ... بالنواميس الإلهية ... التي تسري في كل شيء ...

ولا يزال الحكيم ... يرقى من ناموس ... الى ناموس ...

ومن أفق ... الى أفق ... أعلى ...

حتى تنكشف له الحقيقة ... العليا ...

أنّ كل شيء ... ينتهي الى الله ...

ويبدأ من الله ...

« هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ . . »

هنالك ... يُدرك الحكيم ... ما لم يدركه ... الذين لم يبلغوا مَا بَلَغ ...

وهذا أمر ... لا يكون إلا من الله ... رأسا ...

ولذلك كان التعبير ...

« يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ومَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً »

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ »

انظر ...

يُؤْتى ؟!!

ومَن يُؤْتَ ؟!!

فقد أُوتِيَ ؟!!

ولقدْ آتَيْنا ؟!!

إنه مقام ... الإيتاء المباشر ... من الله ...
يصل اليه العبد ...
بعد جُهد جَهيد ... وجِهادٍ مَرير ...
في السفر الى الله ...
حتى إذا ثبت صدقه ... وقطع مراحل المكابدة ...
دخل بإذن ربه ... الى مرحلة المكاشفة ...
دخل الى مرحلة الانطلاق ...
مرحلة ... الإيتاء المباشر ... مِن الله ...
فتنكشف له الحقيقة ... بوجهها الصبوح ... الجميل ...
ويُبصر ... أنَّ هذا الوجود كله ... إنما هو محض الجُود ...
وأنَّ كل شيء ... يسبح في بحر الجُود ...
وأنَّ الخلْق جميعا ... يسبحون في بحر الرحمة ...
وأنَّ الله ... أسْبَغَ على كل شيء ... نِعمة ظاهرة ... وباطنة ...
هنالك ... يُدرك ... أن كل كائن ... ينبغي ... أن يشكر لِلّه ... دائما ...
لأنّه ... يُنعِم عليه دائما ...
ويَسْبَح ... في بحر رحمته ... دائما ...
ويسبح ... في بحر الجود ... دائما ...
إنَّ الإنعام الإلهي ... لا يتوقف ... لحظة ... عن أي كائن ...
فكيف يتوقف ... شُكْر ... الكائن ... لِلّه ... لحظة واحدة ؟!!

إن المنطق الطبيعي ... أن كل نعمة ... تستوجب ... شُكر المنعَم عليه ... لِلْمُنعِم بها عليه ...

وهذا هو الأسلوب الذي نتعامل ... به فيما بيننا ... يوميا ...

فلو أنَّ أحدا ... صنع اليك جميلا ... لقلت له : شُكرا ..

فلو عاد وصنع اليك جميلا آخر ... لقلت له ... شُكرا ..

ولا تجد في ذلك ... شيئا غريبا ...

بل نُجمع كلنا ... على أن هذا شيء طبيعي ! ! !

فلماذا لا نطبِّق هذا ... في تعاملنا ... مع الله ؟ ! ! !

إنَّ الله ... ينعم على كل كائن ... كل لحظة ... ولا ينقطع انعامه ... طرفة عين ... عن أي كائن ...

فالمنطق الطبيعي ...

أن يُقَابِل الكائن ... كل إنعام بقوله ... لِلّه ... شُكرا ...

« أَنِ اشْكُرْ ... لِلّهِ »

ومن حيث أن الإنعام ... لا يتوقف ... مِن الله ...

فإنَّ الشكر ... ينبغي ... ألا يتوقف لحظة ... مِن العبد ...

فمن فاتته ... لحظة ... لم يشكر ... لِلّه ... فيها ...

فقد كَفَرَ ... أنعمه ... التي أسبغها عليه ... في تلك اللحظة ...

فانظر ... كم عدد النِّعَم ... التي أنعم بها عليك ...

ومرّت ... وأنت بها كفور ؟!!

« إنَّ الإنسانَ لَكَفُورٌ » .

مِن هنا ... لأنَّ ... لِلّه ... عليك ... في كل لحظة إنعام ... بل أنعُم ... متواصلة ...

وأنت ... لا تلتفت الى هذا ... إلا قليلا ...

« وقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ »

لأنه ... يندُر ... أن يلتفت الانسان ... الى تلك الحقيقة الرهيبة ...

أنَّ عليه ... لِلّه ... شُكرا ... يجب أن يُؤَدَّى ... في كل لحظة ... مع كل نَفَس ... لأنَّ الأنفاس ... إنعامات ... من نعم الله عليه !!!

إنَّ هناك ملايين الملايين ... مِن النِّعَم الإلهية ... ينعم الله بها ... على أي انسان ... في اللحظة الواحدة ...

وفكِّر ... إن شئت ... في تراكيب جسدك ... كيف تعمل ... في لحظة واحدة ...

إنَّ هناك ملايين الخلايا ... تقوم في هذه اللحظة ... بإحداث حياتك ... أثناء تلك اللحظة ...

فانظر الى الإمداد الالهي ... لتلك الملايين من الخلايا الحية .. أثناء تلك اللحظة ...

تدرك ... أن الأمر ... عجيب !!!

وأن الإنعام ... متدافع ... إليك ... بلا توقف ...

فمَن مِن البشر ... يستطيع أن يقابل ... انعام ربه عليه ... الذي لا يتوقف ...

بالشكر ... الذي لا يتوقف ؟!!

قليل !!!

بل أقل ... من القليل !!!

« وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ » !!!

الشكور ؟!!!

الذي لا يتوقف شكره ...

لادراكه ... أن إنعامنا عليه ... لا يتوقف ...

وهؤلاء القليل ...

الذين أدركوا ... تلك الحقيقة ...

هم الذين أوتوا الحكمة ...

الذين كشفنا عنهم غطاءهم ... فأبصروا ...

أنَّ رحمتي وسعت كل شيء ...

وإنعامي وسع كل شيء ...

وعطائي لا ينقطع عن شيء ...

وامدادي لا يتوقف عن شيء ...

فأدركوا ... أنَّ ... لِلّه ... على الإنسان ... حقاً متواصلا ...

ان ... يشكر ... لِلّه ... شكرا ... متواصلا ...

وكان من هؤلاء ... الحكماء ... القليل ...

ذلك الذي اسمه لقمان ...

« وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ » ...

وكشفنا له تلك الحقيقة الكبرى ... « أنِ اشْكُرْ ... لِلّهِ » !!!

اشْكُرْ ... بلا توقف ... لأنَّ إنعامي عليك ... لا يتوقف !!!!!!!

حَرْبُ... المراتبِ...

مِن أجمل ...

وأعجب ... النواميس الإلهية ...

ذلك الناموس ... الذي يمكن أن نسميه ... حَـــرْب المراتب !!!

فهو سر ... الحركة ... في الحياة البشرية كلها ... طولا وعرضا ... ظاهرا وباطنا ...

وهو سر التقدم والتأخر ...

وسر التصارع ... والتدافع ... والتموج ... في أمورها كلها ...

وأعني ... بحرب المراتب ...

ابداع الخَلْق ... على مراتب ... أو درجات ... متفاوتة .. مختلفة ... يعلو بعضها بعضا ... صُعودا ... ويسفل بعضها عن بعض ... نُزولا ...

فالحرب معلنة ... بين الناس جميعا ...

مذ بدأت ... أول لحظة ... من الحياة الآدمية ...

« قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ » ...

(طه ١٢٣)

والعداء ... أساسه ... تنازع البقاء ...

رقعة ضيقة ... اسمها الكرة الأرضية ...

يصطرع على الظفر بالاستمتاع بها ...

خمسة آلاف مليون نسمة !!!

فهي تضيق بآمالهم ... وأحلامهم ... وتطلعاتهم !!!

كُل يريد أن ينهشها ... لنفسه !!!

هذا أساس ...

وأساس آخر ... أنَّ كل انسان ... كل ذكر ... كل أنثى ...

يختلف عن الآخر ... فهما ... وعلما ... وادراكا ... وميولا ... وقوة ... وضعفا ... وغنى ... وفقرا ... وظروفا ... وتربية ... وآمالا ... وأحلاما ... الى ما لا يحصى ... من أنواع الاختلاف في التركيب البشري !!!

وهذا هو الأساس الثاني ... الذي تشتعل بسببه الحرب ... دائما وأبدا ... بين الناس ...

كُلٌّ ... يرى الحياة ... على غير ... ما يراه الآخر !!!

« ... وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ » ...

(هود ١١٨ – ١١٩)

إنها ... حرب المراتب ...

حرب ... الدرجات ...

تفاوت ... درجات الخلق ... في كل شيء ...

« وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ... »

(الأنعام ١٦٥)

وأخرى ... أوضح ...

« وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً » ... !!!

(الزخرف ٣٢)

فما معنى هذا ؟!!

معناه أنَّ التدافع ... والتموجَ ... أمرٌ مُراد ... في تصميم ... هذه الحياة ...

لأنَّ اصلاحها ... في تموجها ... وتدافعها ...

فالحياة بحر يموج ...

وإنما يُموِّجه ... اختلاف مراتب الخَلْق ...

فلو لم تختلف مراتب خلقهم ... ما ماجت عنهم ... أمواج الحياة ...

وهذا التدافع الموجي ... أو الموج المتدافع ...

هو سر ظهور ... التكامل الإنساني ... نحو الأحسن دائما ...

هو سر تطور الحياة البشرية ... نحو الكمال ...

فالحرب معلنة ... بين الناس ... منذ بدأت قصة الحياة ... كما رأيت ...

ومستمرة ... بينهم ... لاستمرار اختلاف مراتبهم ...

وهذا التدافع ... هو الذي يحدث التوازن ... دائما ... بين الشر والخير ...

هذه موجة خير ... تضربها موجة شر ...

وهذه موجة شر ... تضربها موجة خير ...

وما يزالان يتدافعان ...

حتى تقوم بينهما ... نقطة التوازن الطبيعية ... وهوما نسميه بالأخلاق ... والفضائل ...

وهو الأمر الوَسَط ...

« جَعَلْنَاكُمْ أُمّةً وَسَطاً »

ولو نظرت بعين الحقيقة ... لرأيت الإحكام التام ... في التصميم والتركيب العام !!!

ملايين من البشر ... يباشرون حياتهم ...

وكلٌّ يعتقد أنّ رأيه هو الرأي ... وأن نظرته الى الحياة هي النظرة !!!

كل أولئك ... يسري من بحر ... ناموس ...

« كَذَلِكَ زَيّنَا لِكُلِّ أُمّةٍ عَمَلَهُمْ » ...

(الأنعام ١٠٨)

كُلٌّ يرى عمله حسنا !!!

فما أعجب القدرة ! ! !

ثم انظر الى بدائع القدرة ... في حرب المراتب ...

كل مرتبة ... عدوة ... لما سواها من مراتب ...

ويترتب ... على اختلاف المراتب قيام كُلّ ما ترى ... من بدائع النشاط البشري ! ! !

كلٌّ يُعَبِّر ... عمليا ... أو علميا ... أو أدبيا ... أو فنيا ... أو خيالا ... أو وَهْما ...

عن انطباعاته ... نحو مرتبته التي هو قائم فيها ! ! !

فَهُمْ جميعا ... قائمون ... كما أقامهم ... القيُّوم ! ! !

يتحاربون ... ويتدافعون ... ويتصارعون ... ويتنافسون ... ويتقاتلون ... ويتعالمون ... ويستعيذون بربهم من شرور ما سواهم من المراتب ! ! !

« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ » ...
(الفَلَق ١ – ٢)

وكل مرتبة ... ترى الشر ... فيما سواه من مراتب ! ! !

وفي النهاية ... كل أولئك ... يكوِّنون ... وحدة الحياة البشرية الرائعة ...

ففي عالم ... الفَرْق ... يختلفون ! ! !
وفي عالم ... الجَمْع .. يتحدون ! ! ! .

فانظر ... كيف أبدعها البديع ...
وكيف جلاّها ...
وكيف أسرى ... أسرار الحياة ... فيها ...
وكيف أجراها ؟!!!

هُـو... هُـو... هُو...

سمعتها ...

فكأني لم أسمعها ... من قبل ...

و فجأة ... فتَحَ الله ... لي فيها ...

بحرا ... زاخرا ! ! !

فإذا ... فيها ... أسرار ثلاثة ...

وأنوار ثلاثة ...

وعجائب ثلاثة ...

كلهن متجاورات ... متتابعات ... متلألئات ... بالحُسن ... باسمات ! ! !

إنها الآية الجميلة ... التي تقول ...

« إنّا كُنّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إنّهُ هُوَ البَرُّ الرَّحِيم) (الطور ٢٨ » .

والأسرار ... الثلاثة ... المتجاورات ... المتلألئات ... هنّ ...

نَدْعُوهُ ... إنّهُ ... هُوَ ...

الهاء المضمومة في « نَدْعُوهُ » ... تستخرج منها ... « هُو » ... الأولى ...

والهاء المضمومة في « إنّهُ » ونستخرج منها ... « هُو » ... الثانية ...

و « هُوَ » ... نستخرج منها « هُو » الثالثة ...

فهُنَّ ... ثلاث هويات ... متتابعات ... يكاد لا يكون بينهن فواصل ... إلا قوله « إنَّ » التي جاءت للتأكيد ...

فإذا مررت بقوله تعالى « نَدْعُوهُ إنّهُ هُوَ » ...

رأيتهن ... أولئك الهويات الثلاث ... متتابعات ...

فإذا سكّنْتَ كُلاً منهن ... كُنَّ ...

هُو ... هُو ... هُو !!!

وإذا أثْبَتَّ إنَّ ... كُنَّ ...

هُو ... إنَّ هُو ... هُو !!!

فرأيت فيهن ... بترتيلهن ... هُو ... إنَّ هُو... هُو!!!

او ... هُو ... هُو ... هُو ...

مذاقا ... يموج في قلبك موجا رهيبا عجيبا !!!

وآنَسْتَ أنَّ هؤلاء الذين قالوها ... كانوا عارفين بالله ... معرفة عالية ...

« وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ . فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ . إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ » . (الطور ٢٥ – ٢٨)

إنّا كُنّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ؟!!

ندعوا ... هُو ؟!!

كُنّا في الحياة الدنيا ... نتوجّه ... الى ... هُو ... دائما !!!

ما احتجبنا ... عن ... هُو ... بالأغيار ...

كنا ... نريدُ ... هُو ...

كانت قلوبنا ... لا ترجو ... إلا ... هُو ...

ولا تخاف ... إلا ... هُو ...

ولا تسكُن ... إلا إلى ... هُو ...

ولا تطمئن ... إلا ... بـ ... هُو ...

كنا في انتظار ... رَفْع الحجاب ... بيننا ... وبين ... هُو ...

ثم يموج العارفون ... بالحُب ... موجا ...

وترفرف ... قلوبهم ... تلك الأغاريد ... العُلى ...

إنّهُ ... هُوَ ...

إنّ ... هُو ... هُو !!!

وتصطفق الجنّات ... تموج أمام أعينهم ... بالنعيم موجا !!

« وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً » . !!!

فتتعالى من قلوبهم ... أمواج الثناء الجميل ...

على ما أنعم عليهم ...

إنّ ... هُو ... هُو ... هُوَ ... البَرُّ ...

أعطانا ... وأعطانا ... وأعطانا ... على غير استحقاق منا .

فما هناك ... مِن عمل يعمله بشر ... يكون أهلا ... لأن يقبله الله ...

أو يكون ... على المستوى ... الذي يجعله ... لائقا ... لأن يُرفع الى جنابه الأقدس ...وإنما هو مجرد ... المِنّة ...

« فمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا » !!! مجرد ... الجُود ...

فما لنا من عمل ... يليق ... أن يُرفَع الى ذي الكبرياء والعظمة !!!

لا شيء قدّمْناه ... نستأهل ... به ... ما نحن فيه ... مِن نعيم !!! ثم تموج ... قلوب العارفين ... لربها ... موجا ...

إنّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ...

فيموج ... بموجهم ... كل شيء ... في الجنّات ...

إنّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ... وكلما ... ماجوا ... بها ...

ماجت ... الجنّات ... بما به يموجون ...

« يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ » ... !!!

وما كان في الدنيا ... معجزة ...

يتحقق ... للعارفين ... إن شاء الله ... في الجنّات ...

« لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ » .

وكلما غرّدوا ... إنّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ...

زادهم الله ... برّاً ... وزادهم ... رحمة ... وما يزالون ... هكذا ... في ازدياد ... الى ما شاء الله !!!

الإعجاز... السلسبيلي...

كلامه ...

ليس كمثله كلام ...

فلو أن الكائنات جميعا ... ما كان منها ... ومـا سيكون ...

تكلّمت ... كلُّها ...

في مراتبها كلها ...

وأنطقها الله ... الذي أنطق كل شيء ...

لو أنَّ الملائكة ... تكلّمت ...

لو أن الجِنَّ تكلمت ...

لو أن الإنس تكلموا ...

لو أن السماوات تكلمت ...

لو أن الأرض تكلمت ...

لو أن الجبال تكلمت ...

لو أن الطيور تكلمت ...

لو أن كل ذرَّة تكلمت ...

لو أن كل خليّة تكلمت ...
لو أن أعلى الكائنات ... تكلمت ...
لو أن العرش العظيم تكلم ...
لو أن الجنّة تكلمت ...
لو أن النار تكلمت ...
لو أن جبرائيل تكلم ...
لو أن إسرافيل تكلم ...
لو أن ميكال تكلم ...
لو أن الأنبياء تكلموا ...
لو أن ... ما شئت من الخلْق ... مما نعلم ... ومما لا نعلم ...
قاموا جميعا ... يتكلمون ... كل بلسانه ...
ثم تكلم ... هُو ...
ثم تكلم ... الرحمن ...
لرأيت كلام الخَلْق كلهم ... كلهم ... يتلاشى ... فورا ...
أمام جبروت ... وملكوت ... كلام ذي الجـــلال والإكرام ...
تجد ذلك مكنونا في قول العزيز الرحيم ...
« وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً » . !!!

(طه ١٠٨)

لماذا ؟!!!

لأنه لا قيام لكلام الخلْق ...

إذا تجلّى كلام الله !!!

لا كلام للعبيد ...

اذا تكلّم المَلِك !!!

وويلٌ لمن يَرْفع صوته ... منهم ... فوق صوت المليك المقتدر !!!

بل لا ينبغي لهم ...

بل لا يستطيعون !!!

فإنّ مقتضى عزته سبحانه ...

التي ليس كمثلها عزّة ...

يُحَتِّم خشوع الأصوات كلها ... على مستوى الوجود كله ...

إذا تكلم العزيز !!!

مِن هذا المدخل ... نفهم أن إعجاز كلام الله ...

يتفجّر ... مِن عُلو كلامه على كلام الخلق جميعا ...

مهما كانوا ... وحيثما كانوا ...

إنه شيء يَعلو ... ولا يُعلى عليه !!!

إنه صوت ... إذا تجلّى ...

خشعت الأصوات كلها ... حتما ...

لأنه كلام الله !!!

وأنّى لصوت مخلوق ... أن يعلو ... على صوت الخالق؟!

إن كلام الله ... نور ...
النور الأعلى ...
إن كلام الله ... روح ...
الروح الأعلى ...
إن كلام الله ... عَلِيٌّ ...
العُلُوُّ الأعلى ...
إن كلام الله ... فعّال ...
إنّ كلام الله ... يسري ... في القلوب ...
سريان الروح ... في الأبدان ...
إن كلام الله ... يُحيي ...
لأنه كلام الحيّ ... المحيي ...
إن كلام الله عزيز ...
لأنه كلام العزيز ...
إن كلام الله حكيم ...
لأنه كلام الحكيم ...
إن كلام الله ... ليس كمثله كلام ...
لأنه كلام ... الذي ليس كمثله شيء ...
إن كلام الله قويٌّ ...
لأنه كلام القويّ ...
إن كلام الله مهيمِن ...
لأنه كلام المهيمِن ...
إن كلام الله ... جبّار ... قهّار ...

لأنه كلام الجبار القهار ...

إن كلام الله أوسع رحمة ... تسبح فيها القلوب ...

لأنه كلام الرحمن الرحيم ...

الذي وسعت رحمته كل شيء ...

واسمع في ذلك قوله ...

« الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ » .

اي الذي وسعت رحمته كل شيء ...

أنزل كلامه ... الذي فيه من الرحمة ... ما يسع كل شيء ...

ولو أنفقت عمرك كله ...

تُثْني ... على كلام الله ... لنفد عمرك ... ولم تستطع أن تحصي ثناء عليه ...

واذكر في هذا المذاق قوله ...

« قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً » ! !

(الكهف ١٠٩)

إشارة الى استحالة ... الاحاطة ...

واستحالة احصاء الثناء على كلامه سبحانه ! ! !

وإنَّ كلاما ... تنفد بحار الوجود كلها ... قبل أن ينفد ...

ولو جئنا بمثلها مددا ...

لا تستطيع أن تُحصي ثناء عليه ...

هو كما أثنى عليه ... مَن تكلم به ... سبحانه !!!

إنَّ كلام الله ... تجري منه ... البحار ...

بحار الأنوار ...

وتتفجّر منه الأنهار ...

أنهار الأنوار ...

وتتفجر منه العيون ...

عيون الأسرار ...

وتنشق منه العجائب ... عجائب القدرة ...

فلو شاء الله ... أن يسقى منه ... الكائنات كلها ... لسقاها ...

أو أن يضيء ... به ... قلوب الخلق جميعا ... لأضاءها !!

ثم يبقى ... كلام الله ... على ما هو عليه ...

لا يزيد ... ولا ينقص ...

« لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ »

وتلك آية أخرى !!!

إنَّ في القرآن ... من أفانين الإعجاز ... ما لا تُحصى !!

وأي نعمة ... هي أكبر مِن نعمة كلامه سبحانه ...

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي .... »

فيه ما لا عين رأت ... ولا أذن سمعت ... ولا خطر على قلب بشر !!!

مهما كوشف الناس ... بأسراره ... وأنواره ...

فهناك وراءها ما ذاقوا ... وما فهموا ... وما علموا ...
أذواق لا تُحصى ... لمّا تُكشَفَ بعد !!!
ومفاهيم لا تُحصى ... لمّا تُكْشَف بعد !!!
وعلومٌ لا تُحصى ... لمّا تُكشَف بعد !!!
واذكر في هذا المذاق قول العزيز الرحيم ...
« هَلْ يَنظُرُونَ إلاّ تَأوِيلَهُ يَوْمَ يَأتِي تَأوِيلُهُ » ...
(الأعراف ٥٣)

يوم يُكشف ... ما في كلامي ... من عجـــائب لا تحصوها !!!
في القرآن عيون ....
وعيون العيون ...
وعيون عيون العيون ...
الى ما لا نهاية !!!
وكذلكم إعجازه ...
فيه إعجاز ...
وإعجاز الإعجاز ...
واعجاز اعجاز الاعجاز ...
الى ما لا يُحصى ...
وخذ إن شئت ... لونا ... واحدا ... من ألوان اعجازه العُلَى !!!
« كَلاّ إنّهَا لَظَى » !!!
كَلاّ ؟!!!

الأمر وراء وراء ... أوهامكم أيها الناس جميعا ...

إنّها لَظَى ؟!!!

لَظَى ؟!!!

كلمة فيها جبروت وقهروت ... يزلزل زلزالا رهيبا !!!

حتى اذا انشقت القلوب فَزَعا ...

تلقاها بالّتي من بعدها ...

« نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى » .

كأنّ النار ... تتلظى أمام عينيك ...

وتنزع الى أهلها ... نزعا ... بعد نزع ... لتشويهم ... شيّاً !!!

كل أولئك ... في اعجاز عجيب !!!

كأنّ هذه الكلمات ... لم تكن في اللغة من قبل ...

وإنما هي خُلِقت الآن فقط !!!

ثم تسمع ...

« تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلّى . وَجَمَعَ فَأَوْعَى » !!! .

فتفهم منها مفاهيم شتى ...

كل انسان ... يفهم منها ... ما يناسب مرتبته ...

وهي هي ... تشرق من الأبد ... الى الأزل ... لم تزد ولم تنقص !!!

ثم تسمع ... كلاما ليس كمثله كلام ...

وصوتا ليس كمثله صوت ...

وموسيقى ... سلسبيلية ... ليس كمثلها موسيقى ...

فلا تدري ... أهي موسيقى ... أم انسيابيات ...
أم سلسبيليات ... أم ماذا ؟!!
لا تستطيع أن تأتي بشيء ...
إلا أنَّ هذا كلام ... يسري في الروح ... فيزيدهـــا رُوحا ...
وفي القلب فيزيده نورا ...
وفي العقل فيزيده فهما ...
وأن كل أولئك ... قد ذابوا ... في بحر من النور ...
وسبحوا في أمواج من الرحمة ...
فتشعشعت فيهم ... مذاقات ... وأحاسيس ... ولكن ما هي ... وكيف هي ... ولِم هي ؟!!
لا تدري ؟!!
وإنما أنت تدري !!!
ولكن ... لا تستطيع التعبير !!!
وتلك آية ... من الإنجاز ... أخرى !!!
نحن الآن ... قادمون ... على نوع من الاعجاز ...
يمكن أن تسميه ... الاعجاز السلسبيلي !!!
نسبة ... الى قوله ...
« عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىَ سَلْسَبِيلاً »
(الانسان ١٨)
لأنَّ العيون ... التي تتفجّر منها ... تحدث أثرا سلبيليا ...
في رُوحك ... في قلبك ... في عقلك !!!

تموج فيهن ... ولا تدري ... كيف تموج ... ولا إلى أين تموج ... ولا إلى متى تموج ؟!!!

ولكنك لا تدري ... الا أنك تموج ...

والموج ... يُقلّبك ... يمينا ... وشمالا ...

وأنت في لذة ليس كمثلها لذة ...

وأُنس ليس كمثله أُنس !!!

وانظر بعَيْنَي قلبك ... إن شئت ... الى هـــاتيك الحسان ...

« إنَّ الإنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إذَا مَسّهُ الشّرُّ جَزُوعَاً . وَإذَا مَسّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً » !!! .

أولئك الثلاث !!!

الجميلات ... السلسبيليات ... اللاتي ليس كمثلهن كلمات

أي شيء ... مكنون فيهن ... يتشعشع له الـــروح. والفؤاد ؟!!!

لا تدري !!!

« مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً » ... !!!

(الشورى ٥٢)

هو شيء يسري ... الى الروح ...

يعرف طريقه اليها ...

فتندمج فيه ... ويندمج فيها ...

فلا تدري ... أيهما الآخذ ... وأيهما المعطي ...

كل آخذ ... وكل معطي ...

« وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » !!!

وبينما أنت ... على تلك الحال ...

سابح في النور ...

والنور فيك سابح ...

تأتيك البشرى ... بوجهها البديع ...

« إِلاَّ الْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَآئِمُونَ » . !!!

هؤلاء وحدهم ... لا يهلعون ... ولا يجزعون ... ولا يمنعون ...

إلا المصلين ؟!!!

إلا المتوجهين ...

الذين توجهت قلوبهم إلينا ...

الذين هم على صلاتهم دائمون ؟!!!

الذين هم على توجههم دائمون ...

دائما قلوبهم ... متوجهة الينا ...

« وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ » !!!

هؤلاء وحدهم ... لهم ناموس ... فوق ناموس ... عموم الناس ... فينشرح صدرك ...

ويملؤك الأمل ... في ربك ... أن تكون من هؤلاء !!!

فانظر ... وتأمّل ... وتَدَبّر ... وتَفَكّر ... واهتف ..ه

سبحان مَن هذا شأن كلامه ... سبحان !!!

أجمعُ... تحمِيدُه...

ما هي أجْمَعُ تحميده ... في الوجود كله ؟!!

ما هي التحميدة العظمى ... التي يَحمد بها الله ... ويَحمد بها الخلْق أجمعين ؟!!

ما هي التحميدة الجامعة ... التي لا حمد هو أعلى ... ولا هو أجمع ... ولا هو أشمل منها ؟!!

هي هذه الجميلة الحسنى ...

الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ... ؟!!

فلا يعلم لها ... في الوجود كله ... نِدٌّ ... ولا نظير !!!

لماذا ؟!!

لأنها الأولى ... والآخرة ...

لأنها مفتتح ... كتابه ...

وما افتتح به كتابه ... كان هو الأعلى !!!

منها تتفجّر بحار الحمد كلها ...

في جميع مراتب الكائنات ...

وإنما انفجرت بحارها السرمدية ... حين حمد الله تعالى

نفسه فقال : الْحَمْدُ لِلّه رَبِّ العالَمِينَ ...

فلمّا قَالها سبحانه ... كان هذا تجلّياً بالحمد ...

فلما تجلّى ... سبحانه ... بالحمد ...

نطق ... كل شيء ...

الحمدُ لِلّه رَبِّ العالَمِينَ ! ! !

فهو الحامد ... وهو المحمود ! ! !

تجلّى ... بالحمد ...

فسرّى ... التجلّي ... في الوجود ...

فحمده كل موجود ! ! !

ولا تحسبن الحمد ... قاصرا على أهل الجنّة ...

بل هو لسان الوجود كله ... حتّى أهل النار ! ! !

فإن شئت دليلا فاسمع ...

« ... وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلّهَ رَبِّ الْعَالَمِينَ » . ! ! !

(الزمر ٧٥)

والحامدون هنا ... جميع الخلق ... أهل الجنة ... وأهل النار ...

لما شهدوا من دلائل عدله سبحانه ! ! !

وإن شئت ما هو أسطع ... وأقطع ... وأجمع لفهمك ... على أن الحمد ... لسان الوجود كله ... فاسمع ...

« ... لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ » ...

(القصص ٧٠)

« وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ » ...

(الروم ١٨)

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ » ...

(سبأ ١)

« ... وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ » ...

(سبأ ١)

(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ » ...

(فاطر ١)

اي فطرهن ... وما فيهن ... ومن فيهن ... وما بينهن ... ليحمدوا !!!

وأخرى ... تشير ... إشارة عجيبة ...

« فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » . (الجاثية ٣٦)

إنما أبدعنا السماوات ... وما فيها ...

وأبدعنا الأرض ... ومن فيها ...

وأبدعنا العوالم كلها ... وما فيها ...

ليحمدوا !!!

حتى إذا اطمأن قلبك الى تلك الحقيقة الكبرى ...

فانهض معنا ... تنظر عجائب مراتب الحامدين !!!

فإذا ما جئناهم ... أولئك الذين يحملون العرش ... سمعنا ...

« الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ » ...

(غافر ٧)

اولئك العظماء ... الكرام ... دائما مستغرقين في الحمد ! !

حتى إذا جئنا الملائكة أجمعين ...

في جميع مراتبهم الْعُلَى ... سمعنا ...

« وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ » ...

(الزمر ٧٥)

ثم تسمع ...

« تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ » ...

(الشورى ٥)

فاذا ما أردت ما هو أوضح ... فاسمع ...

« ... وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ » ؟!..

(البقرة ٣٠)

والقائل ... الملائكة أجمعون ...

إنهم لا يفهمون ... ما الحكمة من خلق كائن ... لا يقوم بحق الحمد ؟ ! !

فإذا ما تجاوزنا مراتب الملائكة ...

فاسمع الى مراتب البشر ...

اسمع الى أهل الجنة ... ماذا يقولون ؟ !

« ... وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي هَدَانَا لِهَذَا » ...

(الأعراف ٤٣)

والى هذه الأخرى ...

« ... وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » . !!!

(يونس ١٠)

آخر دعواهم ؟!!

اي تمام دعواهم ... كمال دعواهم ... أعلى دعواهم ...

الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ !!!

إشارة الى بلوغهم أعلى مراتب الحمد ...

فلما بلغوها ... كان لسانهم ... الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ !!!

تجلّى عليهم ... بأعلى التجليات ...

فماجوا ... بأعلى المحامد ...

وأعلى المحامد ... الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ !!!

فإذا ما جئنا هذه الحياة الدنيا ... التي نحن الآن فيها ...

سمعنا ... ربّنا ... يأمرنا ...

« ... وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا » ...

(طه ١٣٠)

« ... سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ والإبْكَارِ » .

(غافر ٥٥)

ثم يصدر هذا الأمر الإلهي البديع ... الى الجميع ...

« ... فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

(غافر ٦٥)

اشارة الى أن أعلى التوجه ... وأعلى الاخلاص ... أن تبلغ رقائق ... حقائق ... الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ !!!

أن تعرف ... الْحَمْدُ أن لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ...

هي لسان ... الوجود كله !!!

فهي المبتدى ...

وهي المنتهى !!!

أحمد ...؟!

ما إن فرغت من هذا الفصل ...

حتى أوجست ... في نفسي ... خيفة ... أن أكون قد جاوزت قَدْري ...

وقلت : لو أظفرني الله ... بحديث للمصطفى ... صلى الله تعالى عليه وسلم ... أجد فيه دليلا ... على ما ذهبت إليه ؟!

ثم أظفرني ... ربي ... والمنّة له وحده ...

بحديث ... ما إن قرأته ... حتى كاد قلبي ... يطير شعاعا ...

فرحا بفضل الله ... ورحمته !!!

وها هوذا ... الحديث ... البديع ...

« عن أبي سعيد بن المعلى ، قال : كنت أصلي فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم فلم أجبه قلت : يا رسول الله ، إني كنت أصلي . قال : ألم يقل الله : استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ؟

« ثم قال : ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن ، قبل أن تخرج من المسجد ؟

فأخذ بيدي فلما اردنا ان نخرج قلت :

يا رسول الله ، انك قلت لأعلمنك اعظم سورة من القرآن

« قال : الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » . ! ! !

(أخرجه البخاري)

انظر الى تعبير المصطفى ... صلى الله تعالى عليه وسلم ...

« الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ المثَانِي والقرآنُ العظيمُ الذي أوتيتُه » . ! ! !

ثم أرجع البصر اليه كرتين ...

تدرك سرّا عجبا ! ! !

الحمدُ لِلّهِ رَبِّ العالَمِين ؟ ! !

اختار من سورة الفاتحة ... هذه بالذات ...

إشارة الى أن الحمدُ لِلّهِ رَبِّ العالَمِينَ ... هي مجمع الأمر كله ! ! !

ثم أعلن ...

هي السبعُ المثاني ...

هي بحار الثناء كله ...

هي الجامعة...لكل ثناء...يُثنَى به على الحق تباركوتعالى...

والقرآن العظيمُ ؟ ! !

وهي الجامعة ... لكل ما في القرآن العظيم ! ! ! ! ! !

الذي أوتيته ؟ ! !

أوتيته ... غيبا ...

وأوتيته ... شهادة ... حين أظهرني ربي في دنياكم ...

إشارة رهيبة ... رهيبة ...

عجيبة ... عجيبة !!!

الحمدُ لِلّه رَبِّ العالمينَ ...

هي السبع المثاني ...

هي بحر بحور الثناء كله ...

هي البحر الأعظم للثناء ...

أثنى بها الله على نفسه ...

فأثنت بها الخلائق على ربها ...

والقرآن العظيم ؟!!

وهي القرآن العظيم ؟!!!

وهذه أعجب وأعجب !!!

كأنه قيل : ما هو القرآن ؟!!

فقيل : الحمدُ لِلّه رَبِّ العالَمِينَ !!!

فيها أسرار ... وأسرار ...

وأنوار ... وأنوار !!!

اللهم صلِّ ... وسلِّم ... على كامل الأنوار !!!

كأنَّ الكون كله شجرة ... وثمرتها ... الحمدُ لِلّه رَبِّ العالَمِينَ !!!

وأبهى ثمارها ...

« اسْمُهُ أَحْمَدُ » !!!

لأن الحقيقة المحمدية ... أحمد ... الخلق ... لربها ...

لأنها أوتيت ... سبعا من المثاني ...

أوتيت بحار المثاني ... بحار الثناء ... بحار الحمد ... لربها ...

ومن هنا كان صلى الله عليه وآله وسلم ... صاحب لواء الحمد !!!

وصاحب مقام الشفاعة العظمى ...

« ... فيؤذن لي فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه إلا أن يلهمنيه الله عز وجل ثم أخر له ساجدا » ... !!!

كل اولئك ... اشارة ... الى أن محمدا ... صلى الله عليه وسلم ...

أوتي ... حقيقة ... الحمدُ لِلّه رَبِّ الْعَالَمِينَ ...

تلألأت فيه ... أنوار ... بحار المثاني كلها ...

آتيناك سبْعاً مِنَ المَثَانِي !!!

آتيناك حقيقة ...

الحَمْدُ لِلّه رَبِّ العالمين !!!

فهو ... أحمد ...

وهو ... محمّد ...

وهو ... محمود ...

وكلها ... من « الْحَمد » ... نابعات !!!

يَا...نَارُ...كُونِي...

كنت أركب سيارة « اوتوبيس » في طريقي الى عملي ...
وفجأة رأيت زحاما ... على طريق « كورنيش » النيل ...
كانت هناك عربة « اوتوبيس » تحترق من الخلف ...
ويتصاعد منها الدخان كثيفا ...
وفجأة سمعت صوتا رهيبا ... ان عربة اطفاء الحريق ...
تسرع الى مكان الحادث ... وتطلق صوتها الرهيب !!!
انها تتقدم ... للإغاثة ... لاطفاء الحريق !!!
هنالك ... علّمني ... ربي ... أمرا عجيبا !!!
أنّ الله ... أسرع غوثا ... لمن استغاثه ... من هذه العربة
التي جاءت كومض البرق ... لاغاثة هؤلاء ...
بل هو ... أسرع ...
بل هو ... أقرب ...
ولكن أكثر الناس لا يعلمون !!!
وتذكرت فورا ... تلك الواقعة الخالدة ...
واقعة ... إبراهيم ...

سلامٌ على إبراهيم !!!
أمة بأكملها ... دولة وشعبا ...
أجّجُوا ناراً !!!
واجتمعوا أجمعين ...
ليشهدوا ... حَرْق ... إبراهيم !!!
ووقف ... الفتى ... وحده !!!
وضجّت ملائكة السماء ... يا ربِّ ... عَبدك إبراهيم !!!
فقال : إن استغاث بأحد منكم ، فليغثه ...
وجاءه سفير السماء ... جبريل ... ألَكَ حاجة ؟!!
فقال الفتى : أما إليك فلا ... وأما الى الله ... فعلمه بحالي يُغني عن سؤالي !!!
ووضعوا الفتى ... في المنجنيق ... وألقوه في الجحيم !!!
ووقفوا جميعا ... ينظرون ... كيف تلتهم النار ... إبراهيم !!!
ولم يتكلم الفتى !!!
فتكلم ... هُو !!!
فماذا قال ... هُو ؟!!!
« يَا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَى إبْرَاهِيمَ » . !!!
فماذا كان من النار ؟!!
سمعت كلام ربها ... فاستجابت فورا ...
فصارت حرارتها برْدا !!!
وصار برْدُها سلاما !!!

وتحولت النار ... الى جنّة !!!

تلك هي الواقعة ...

التي أغاث ... المغيث ... سبحانه ... فيها ... عبده ... إبراهيم !!!

فكان غوثه ... سبحانه ... أسرع غوث ... على الاطلاق !!!

غوث ... ليس كمثله غوث ...

لم يستغرق الأمر كله ... لحظة !!!

بل أقل ... بل ... لا وقت ...

فلم يكن بين قوله تعالى « يا نارُ كُوني » ... وبين تحول النار الى جنّة ... وقت ما ...

فما تكلّم سبحانه ... حتى كانت النار ... كما أراد سبحانه !!!

« إنّما أَمْرُهُ إذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ » . !!!

وما كان للنار أن تتأبّى ... على ربها ...

وما ينبغي لها ... وما تستطيع !!!

وكذلكم كل شيء في الوجود ... إنّ الله على كل شيء قدير !!!

لماذا حازَ ... الخليل ... عليه السلام ... ذلك المقام ؟!!

لماذا أغاثه ... المغيث ... مِن غير أن يتكلم ؟!!

لماذا كان غوثه ... شيئا عَجباً ؟!!

لماذا يدلّ اللهُ ... له ... النواميس ؟!!

لأنَّ إبراهيم ... كان متحققا ... بمقام ... « نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ » ... !!!

كان يعلم ... أنَّ الله ... أقرب إليه ...

مِن نفسِه !!!

مِن جبريل !!!

مِن كل شيء ... كان أو يكون !!!

فَعَلِمَ اللهُ ... ما في قلبه ...

فجازاه إحسانا ... بإحسان ...

هَلْ جَزَاءُ الإحسانِ ، إلاَّ الإحْسَانُ ؟!!!

لقد بَلَغَ إبراهيم ... أحسن العلم ... بربِّه ...

بَلَغَ أحسَنَ الفهم ... عن ربِّه ...

عَلِمَ أنَّ اللهَ ... أقْرَبُ إليه ... مِن نفسه ...

وأرحم به ... من نفسه ...

وأسرع غَوْثا ... له ... من كل شيء ...

فَأَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّه !!!

وصَمَتَ !!!

وكان صمته ... دَوِيّاً ... عظيما ... عند ربِّه !!!

وكذلكم ... صمت ... أولئك الأنبياء !!!

يصمتون ... ليتكلم الله !!!

لأنهم يعلمون ... أنه ينبغي أن تَخشَعَ الأصوات ... للرحمن ... إذا تكلّم !!!

وتكلّم ... الرحمن !!!

وكلام ... الرحمن ... ليس كَمِثْلِهِ ... كلام !!!

« يَا نَارُ كُونِي » !!!

سبحان ... مَن كَلّم ... كل شيء ...

ففَهم ... كل شيء ... ما كَلّمه به ... ربُّه !!!

ولا أحد ... يَقْدِر ... أن يُكَلِّم ... ملايين الأشياء ... في ملايين المراتب ... في ملايين اللغات ... في ملايين الأصوات ... في وقت واحد ... فيفهم كل شيء ... خطاب ربه ... إلا ... هو ... سبحانه !!!

قُدرة ... ليس كمِثْلِها قُدرة !!!

وفهمت هذه النار ... بالذات ... أنها المرادة بالخطاب ...

فتحوَّلت ... مِن فورها ... بَرْداً ... وسلاماً ... مِن جْل ... إبراهيم !!!

ذلك ... غوث ... هُو ...

فهل في الوجود ... غوثا ... هو أقرب ... أو هو أسرع ... من غوث ... هُو ؟ !!!

أين ... مِن أين ؟!!

أين غوث الوسائط ... أو غوث البشر ... من غـوث المغيث ؟!!

مهما أسرعوا إليك ... مهما أوتوا من امكانيات ...

فالله ... أسرع ...

والله ... أقرب ...

والله أقدر ...

والله أقوى ...

« وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » !!!

ومن هنا كان التوجيه ..

« وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى » !!!

أي توجهوا إلينا ... من حقيقة إبراهيم ...

توجهوا إلينا ... من الحنيفية الإبراهيمية ...

التي ترى ... أن الله أقرب اليها ... من كل شيء !!!

فإذا نادىَ ... نادانا ...

« وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ » . !!!

بل « نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ » مِن نِدَائِه ...

قبل أن ينادينا ... نسارع إليه ...

ونغيثه ... قبل ندائه !!! كما فعلنا بإبراهيم !!!

فإن أبيتم ... إلا الأغيار ...

وكلنا كم ... الى ما اتجهتم اليه ...

كونوا ... في مقام الاضطرار ... أكن معكم ...

« أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ » ؟!!

المضطر ... يطوي البعد ... الذي بينه وبيننا ...

فيجد الله ... أقرب اليه ... من كل شيء ... فيناديه ... في اخلاص ... رأسا ... هنالك ... يجدنا ...

ومَن وَجَدنا ... فقد وجَدَ ... أسرع الغوث !!!

يَا حَسْرَتَى...
عَلَى مَا فَرَّطْتُ...
فِي جَنْبِ اللهِ...

في لحظة مباركة ...
مَنَّ الله عليَّ ... فيها ... بشيء من الفهم ...
أدركت أني ... مجرد ذرَّة ... في بحر الوجود ...
وأني لا شيء ... على الاطلاق ...
فلو فنيت ... ما نقص الوجود شيئا ...
ولو بقيت ... ما زاد الوجود شيئا ...
فقلت : صدق ربي ...

« هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً » . ؟ !

نعم ... ربّاه ... قد أتى على الإنسان ...
لحظة من الزمن ...
أدركتُ فيها أني ... في الحقيقة ... لم أكن شيئا مذكورا ! !
أي شيئا ... لا يستحق أن يُذكر ...
فقلت : قد كنتَ غبيّاً كبيرا ... أني ظننت يوما ما ... أني شيء ! ! !

فأدركت ... أني أسوأ ... عبد ... خلقه الله ... على الاطلاق ...

أن غابت ... عني تلك الحقيقة ... يوما !!!

وأدركت أنه لا شيء ... مهما كان ... يستحق أن يُذكر.. أو يلتفت اليه ...

إلا شيئا واحدا ...

إلا ... هُو ...

وأن لحظة واحدة ... من عمري ... أنفقتها ... في ذكر نفسي ... أو ذكر أحد من الخَلْق ...

إنما هو غباء ... وأي غباء !!!

لأن ذكر ... ما سوى الله ... يزيدني ... فناء الى فناء !!!

وماذا أنا آخذ ... من ذكر ... شيء ... يفنى ... مثل فنائي ؟!!

إلا ضياعا ... الى ضياعي ...

وموتا ... الى موتي ...

وضعفا ... الى ضعفي ...

« **ضَعُفَ الطّالِبُ وَالمَطْلُوبُ** » ...

فأنا ضعيف ...

وأطلب ضعيفا ... مثلي ...

فما يزيدني إلا ضعفا !!!

فأي غباء هو أعظم من غبائي ؟!!

ولو أنّ ما أضعته ... من عمري ... وما أكثره ... أنفقته

في ذكر ربي ... فقد كان حرياً ... أن أزداد به قوة ...

إلا أنني لم أفعل ...

فأي خسارة ... هي أعظم من خسارتي ؟!!

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » .

وقد فعلت ... أنا ... ذلك ...

فما أبعد خسراني !!!

ثم التفتُّ ... من حولي ... وأنا ذرَّة ... سابحة ... في بحر الوجود ... والبحر يموج من حولي ... من الأزل ... الى الأبد ...

فقلت : إني لا شيء ... على الإطلاق !!!

وإن كان هذا عجيبا ...

فأعجب منه ... ان اكون هكذا ... من الهوان ... والضعف ... والذلة ... والفقر ... والعدم ...

ثم لا أبحث ... لي ... عن قوة ... حقيقية ... أستند اليها ... في هذا البحر الأبدي ... المتلاطم ؟!!

إني ... إن لم أفعل فورا ...

تمزَّقت فورا ... وتلاشيت فورا ... وضعت ضياعا ... لا عودة بعده !!!

فتفكّرْت ...

ما هو هذا الشيء ... الذي يصلح أن أستند اليه ؟!!

من الحتم أن يكون شيئا ... له الهيمنة التامة ... على هذا البحر ... من أوله الى آخره ...

فلم أجد شيئا ... في الوجود ... له هذا الوصف ... إلا ... هُو !!!

« وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ » ...

فقلت : هذا الذي ينبغي ... أن استند اليه ...

هذا هو الأصل ...

ويتحتم على الفرع ... أن يستند في وجوده ... الى الأصل ...

وكل فرع ... انقطع عن أصله ... صار هشيما ... تذروه الرياح ...

وقلت ...

« وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ».

ما لِيَ ... لا أتوجّه ... الى الذي أوجدني ...

الى الذي ... كينونتي ... وقيامي ... وكياني ... قائم به ؟!!

وإليه تُرجعون ... أيها الخلق جميعا !!!

فما لِيَ ... لا أرجع أنا ... اليه ؟!!

اللهم إني أستغفرك ... عما ضاع ... من عمري ...

حين ذكَرْتُ سواك ...

وشغلت نفسي ... عنك ... بما سواك ...

فأضعتها ... وضيّعتني ...

« وَلاَ تَكُونوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » .

اي الكاملون في الفسق ...

الكاملون في الخروج ... عن الناموس الطبيعي ...

اي ... هو أنا !!!

هذا أنا ... فما أنت ... أيها القارىء ؟!

أرجو ألا يأخذك الغرور ...

فتحسب أني أنا الخاسر وحدي ...

فكملنا ذلك الرجل ...

وإنما عرضت لك نفسي ...

لتعبر بها ... والعاقل من اتعظ بغيره ... فراجع نفسك ... وتدارك ما فاته ...

واعلم أن الخلق أهون من أن يشغلوك ... عن ربك ...

واذكر في ذلك قوله :

« أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَي عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ » ... !!!

لَيْتَ... لِيْ...

لَيْتَ لى ... عَدَدَ ذرَّات الوجود ...
وعَدَدَ ... خلايا ... كل شيء حيّ ...
وعَدَدَ ... ما شئت ... مِن شيءٍ بعد ...
ليت لي ... عَدَدَ أولئك جميعا ... لساناً ...
لأغرِّد ... لك ... بهن جميعا ...
أولئك جميعا ... لساناً ...
لأغرِّد ... لك ... بهن جميعا ...
شاكرا ... شاكرا ...
ولكنّه ... لسان واحد ...
آتيتنيه ...
وأمرتني ... أن أشكرك به ...
فماذا أنا فاعل ؟ ! !
أريد أن أشكرك ... شكرا ... لا يسعه الوجود ...
فماذا أفعل ؟ !
وما آتيتني إلا لسانا واحدا ...

اللهم إني أشكرك ...
على ما أنعمتَ عليَّ ...
وعلى كل شيء ... كان أو يكون ... وما بين ذلك ! ! !
كلما هممتُ بشُكرك ...آنستُ عجزي ... عن الوفاء بشُكرك ...
بأنَّ إنعامك عليَّ ... دائما يسبق ... شكري ! ! !
أعطيتني ... قبل أن أسألك ...
فكان سؤالي ... جهلا مني ! ! !
فلمّا هممتُ بشُكرك ... غَمَرَتْني نعماؤك ... ظاهرا وباطنا ...
ففضلك سابق أبدا ... شكر الشاكرين ! ! !
فاغفر لي ... عجزي ... عن شكرك ! ! !
وما هو هذا الشكر ... الذي يصدر عني ؟ ! !
كلمات ... أردِّدُها ؟ ! !
إنعامك عَليَّ ... بحر يموج ...
وشكري قطرة ...
فما يبلغ شكري ؟ ! !
أبدا ... أنت ... ذو فضل ...
وأبدا ... أنا ... ذو عجز ...
فكيف السبيل ... الى أداء ... شيء ... من الشكر ... الواجب علينا ... لك ؟ ! !
لا سبيل ... الا الاعتراف بالعجز التام ... عن شكرك ! ! !

ذلك ... عجز لساني ...
فماذا عن عجز قلبي ؟!!
يا ليت لي ... عدد خلقك ... قلوبا ...
لأموج بها ... كلها ... موجا ... إليك ... شاكرا ...
ذاكرا ... معظّما ... ممجّدا ... مكبّرا ... مهلّلا ...
هاتفا ... هتافا ... يسمعه كل شيء ...
لا إله إلا هو !!!
لا إله إلا الله !!!
لا إله إلا أنت !!!
ولكنه ... قلب واحد !!!
فماذا يستطيع ... ذلك القلب الواحد ... أن يموج ؟!!
عاجز ... عاجز ...
أن أقوم بشيء ... من لساني ... أو من قلبي !!!
فاغفر لي ... عجزي ... في لساني ...
واغفر لي ... عجزي ... في قلبي !!!
ومِن قبلُ ... قالها عبدك داوود ...
يا ربِّ ... كيف أشكرك ... والشكر مِن آلائك ؟!
فتداركته برحمتك :
الآن شكرتني !!!
مَنَنتَ ... عليَّ ... بنعمة الإيجاد ...
فصيرتني بَشَرا سويّاً ...
فأي نعمة ... وأي احسان ... أحسنته إليّ ؟!!

إنَّ خلقَ الإنسان ... معجزة عظمى ... من معجزات الرحمن !!!

جميع مراتب الكائنات من أعلاها ... الى أدناها ...

مكنونة فيه ...

متراكبة ... في ثناياه ...

فما أعظم النعمة ... وما أعظم المنّة ... وما أعظم العطاء !!!

ثم ألقيتني ... في بحر إنعامك ...

أجري ... فيه ...

وهو ... فيَّ ... يَسْري ...

وما أدري !!!

فسُبحان الذي أسرَى !!!

ولستُ وحدي ... في تلك النعمة ...

فكل الناس ... ذَكَرا وأنثى ...

في بحر إنعامك ... يسبحون ... ولا يشعرون !!!

« كُلاً نُّمدُّ هَؤُلاَءِ وهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً » . !!!

الكل ... في بحر الإنعام ... يسبحون ...

ولا يشعرون !!!

ثم كانت نعمتك الكبرى ... عَلَيَّ ...

وما أدري ما نعمتك الكبرى !!!

أن أخَذْتَ بناصيتي ... إليك ...

على ما بي ...

وإنما هو محض ... فضلك ...

وجعلتني مُسلِما ...

والإسلام ... هو النعمة التامّة ...

« وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً » ... !!!

وهذه وحدها ...

تستوجب مني ... لك ... الشكر ... ليلي ونهاري ...

ماذا كان يكون حالي ... لو لم تتفضل عليّ ... بتلك النعمة ؟!!

شكرا ... ثم شكرا ... ثم شكرا ...

الى ما لا يحصى من الشكر !!!

كم تُساوي نعمة القرآن ؟!!

كم تُساوي نعمة ... رسول الله ... صلى الله عليه وسلم ؟!!

كم تُساوي نعمة ... مجرد الانتساب الى أمته ؟!!

كان ممكنا ... ألاّ أعرف شيئا ... عن هذا كله ... وأن أضيع ... مع الملايين الهائمة !!!

إنما هو ... محض فضلك !!!

« بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ »!!!

كم تساوي نعمة ... التوجُّه ... إليك ... ولو لحظة واحدة ... في العمر كله ؟!!

شكرا ... إن كُنتَ أنتَ ... رَبّي ...
وكم مِمّن ... يتخذون أربابا ... مِن دونَك !!!
شكرا ... أن جعلتني ... لك عبدا ...
وكم مِمّن ... صاروا ... عبيدا ... لما سواك !!!
شكرا ... أن جَعَلْتَ ... محمدا ... صلى الله عليه وسلم .. لي ... نبيّاً ...
وكم مِمّن ... لا نبي له ... إلا هواه !!!
شكرا ... أن ضممتني ... الى صفوف ... أهل النور ...
وكان يمكن ... أن أكون ... ضمن صفوف أهـــل الظُلمة !!!
يا ربِّ ...
كما أكرمتني ... بإيجادي ...
وأكرمتني ... بإمدادي ...
واخترتَ لي ... خيرَ دين ...
واخترت لي ... خيرَ كتاب ...
واخترت لي ... خيرَ نبيّ ...
أسألك ... أن تكرمني ... فيما بقي ... من حياتي ...
وأن تكرمني ... في مماتي ...
وأن تكرمني ... في نشرى ... وحشري ...
إنك أنتَ ... الكريم ... الكريم !!!
اللهم ... ربّنا ...
لا عمل لي ... يستحق أن يُرفع إليك ...

فماذا يصدر عن الناقص ... إلا النقص ؟!

اللهم ... إني لا شيء ...

وعملي ... لا شيء ...

فامنُن ... عليَّ ... بنظرة ...

تُبَدِّل ... عَدَمي ... وجودا ...

وما لي من وجود ... إلا أن تشاء ...

وتُبَدِّل ظُلمتي ... نورا ...

« وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِن نُّورٍ »!!

وتخرجني ... من نفسي ... إليك ...

وتُبَدِّل ... بُؤْسي ... نُعمَى ...

وضياعي ... حِفظاً ...

وعُسري ... يُسرا ...

وجَهلي ... عِلْما ...

وإعراضي ... إقبالا ...

وذُلِّي ... عِزّاً !!!

الفهرس

إنّا ... نحنُ ... نزّلْنا ... الذِّكْرَ ...	٧
المعصية ... حادث مرور ... كوني ...	١١
وَحْدَهُ ...	٢٣
اشْكُرْ ... لِلّه ...	٣٣
حَرْبُ ... المراتب ...	٤٣
هُو ... هُو ... هُو ...	٥١
الإعجاز ... السَلْسَبيلي ...	٥٧
أجْمَعُ ... تحميده ...	٧١
أحْمَدُ ... ؟ !	٧٩
يا ... نارُ ... كُوني ...	٨٥
يا حَسْرَتِي ... على مَا فَرَّطتُ ... في جَنبِ اللهِ ...	٩٣
لَيْتَ ... لِي ...	١٠١

كتب للمؤلف من منشورات دار المعرفة

ص . ب . ٥٧٦٩ – بيروت – لبنان

المفاتيح العلى
بين يدي رحمته
فلما تجلى
فأطعمناكموه
فأسقيناكموه
هذا عطاؤنا
في ظلال وعيون
سلم على شيء
على شاطىء البحر
هذا شيء عجيب

كؤوس الحب الالهي
تفسير الفاتحة
عمر المختار
تفسير آية الكرسي
من الظلمات الى النور
تفسير جزء عم
يسألونك عن الروح
الحياة في الجنة
صيام رسول الله

أخطاء مطبعية

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	التصحيح
١٠	٩	لا يفيدها	لا يقيدها
٦٤	١٨	"..وأتممت عليكم عليكم ..	" ..وأتممت عليكم..
٦٧	١٥ ٢١	من الإنجاز سلبيليا	من الإعجاز سلسبيليا
٧٨	٧	الحمد أن لله	أن الحمد لله
٩٩	٩ ١١	فكمانا لتعبر بها	فكلنا لتعتبر بها

ماذا في هذا الكتاب ؟

فيه تفجير .. كلمات من .. أعلى .. وأغـــلى ..

وأصدق .. وأحسن .. الكلمات !!

من الكتاب العزيز .. العظيم .. المجيد .. الكريم ..

الحكيم .. المكنون ..

« القرآن الكريم »

فلما أنفجرت تلك الكلمات .. تشعشعت أنوارها ..

وأسرارهـا .. وجعلت تموج .. من الازل ..

الى الأبـــد ..

وجعلت .. ألتقـط منهـا .. ذرّات .. فـكان

هـــذا الكتاب !!!

الثمن : ٢٠٠ ق. ل. او ما يعادلها